

المجلد 09 / العدد 02 / ديسمبر (2025)، ص.ص. 474-486

مفهوم الشعر عند سيبويه Sibawayh's Concept of Poetry

بربار عبد الرحمان
Berbar@internet.ru
جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي تيسمسيلت
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2025/12/02

تاريخ القبول: 2025/09/21

تاريخ الاستلام: 2025/07/14

ملخص:

يتناول هذا البحث مفهوم الشعر عند سيبويه، محاولاً تجاوز الطرح السائد الذي يختزله في كونه مجالاً للضرورات والاستثناءات النحوية، ويهدف إلى إبراز رؤية أكثر شمولية وديناميكية، تنظر إلى الشعر في الكتاب بوصفه ظاهرة لغوية متكاملة، وفضاءً حيويًا يكشف عن مرونة النظام اللغوي العربي وحدوده وطاقاته التعبيرية. وبالأعتد على بعض المقولات من الكتاب، وخاصة باب ما يحتمل الشعر، يوضح البحث كيف أن سيبويه لم يتعامل مع الشعر بكونه خروجاً عن القاعدة، بل بأنه نظام لغوي خاص له قوانينه التي تحكمها الاستقامة، ويظهر الاستقراء أن هذا النظام الشعري يعمل باعتباره مختبراً لغوياً تختبر فيه أقصى إمكانيات اللغة، مما يجعله مصدراً أساسياً في بناء النظرية النحوية، وليس مجرد مستودع للشواهد الاستثنائية. **كلمات مفتاحية:** سيبويه، الكتاب، الشعر، الضرورة الشعرية، النحو العربي.

Abstract:

This study examines the concept of poetry in Sibawayh's *Kitāb*, moving beyond the prevailing view that reduces it to a domain of grammatical licenses (*al-darūrāt*) and exceptions. It aims to present a more comprehensive and dynamic perspective, viewing poetry in the *Kitāb* as an integrated linguistic phenomenon and a vital space that reveals the flexibility, boundaries, and expressive potential of the Arabic linguistic system.

Relying on textual analysis of the *Kitāb*, particularly the chapter "*Mā Yuḥtamilu al-Shi'r*" (What Poetry Permits), the research clarifies how Sibawayh did not treat poetry as a deviation from the norm, but rather as a distinct linguistic system governed by its own principles of adherence to rules (*istiḳāmah*). The analysis reveals that this poetic system functions as a linguistic laboratory where the extreme possibilities of the language are tested. This makes poetry a fundamental source for building grammatical theory, not merely a repository of exceptional evidence.

Keywords: Sibawayh, *al-Kitāb* (The Book), Poetry, Poetic License (*al-Ḍarūrah al-Shi'riyyah*), Arabic Grammar (*al-Nahw al-'Arabī*).

مقدمة:

يُعدّ كتاب سيبويه، المسمى اختصاراً الكتاب، حجر الزاوية في صرح الدراسات النحوية والصرفية العربية، فقد وضع فيه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (المتوفى نحو 180هـ) أسس علم العربية وقواعدها بعقريّة فذة ومنهجية استقرائية دقيقة، معتمداً بشكل أساسي على القرآن وكلام العرب الفصحاء نثرهم وشعرهم، وعلى الرغم من أن هدف سيبويه

الأساسي كان تقنين الكلام العربي السليم وبيان أصوله وقواعده الإعرابية والصرفية، إلا أن الشعر يحتل مكانة بارزة في ثنايا الكتاب باعتباره مادة استشهاد ومجال لما يحتمله اللسان العربي مما قد يخرج عن المألوف في الكلام المستقيم. ينظر البعض إلى موقف سيبويه من الشعر على أنه الموقف الغالب، الذي يعتبر الشعر مجالاً للرخصة والضرورة الشعرية، أي أنه يُستشهد به لإظهار ما يجوز للشاعر قوله مما لا يجوز للنثر، وأن هذه الجوازات تُحلل غالباً بالوزن والقافية والاضطرار ورغم أن لهذه النظرة وجهتها، إلا أنها قد تغفل عن رؤية أعمق تحدد معالم منهج سيبويه وطريقته في التعامل مع الشواهد الشعرية.

تنطلق إشكالية هذا البحث من التصور الاختزالي الشائع الذي يتعامل مع الشاهد الشعري في "الكتاب" بوصفه مجرد مستودع للرخص والضرورات، أو حتى الشواذ اللغوية. هذه النظرة، رغم وجهتها الظاهرية، تغفل عن الرؤية المنهجية العميقة التي حكمت تعامل سيبويه مع الشعر، فهي لا تميز بدقة بين "الضرورة الشعرية (Poetic License)" بوصفها رخصة خاصة بنظام الشعر تفرضها متطلبات الوزن والقافية، وبين "الشذوذ (Anomaly)"، الذي يمثل مخالفة نادرة للقياس قد تقع في النثر والشعر، ومن هنا ينبثق التساؤل المحوري للبحث: هل كان الشعر عند سيبويه مجرد حقل لتجميع الاستثناءات والشواذ، أم أنه يمثل نظاماً لغوياً متكاملًا له قوانينه ورخصه الخاصة التي تكشف عن طاقات اللغة العربية ومرونتها؟ وكيف يمكن إعادة بناء مفهوم الشعر عند سيبويه بما يتجاوز ثنائية (القاعدة/الاستثناء) نحو فهم أعمق لدوره في بناء النظرية النحوية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، سيعتمد المقال المنهج الوصفي مستعملاً التحليل أداة لذلك، بحيث يقوم على الاستقراء النصي لمقولات سيبويه في "الكتاب"، مع التركيز بشكل خاص على باب "ما يحتمل الشعر" وتحليل أنماط الاستشهاد الشعري في الأبواب النحوية المختلفة، للوصول إلى رؤية تركيبية متكاملة.

يهدف هذا البحث إلى تجاوز القراءة التقليدية التي تركز دور الشعر في "الكتاب" ضمن إطار "الضرورة" و"الاستثناء"، ويسعى إلى تقديم رؤية أكثر شمولية وديناميكية، تنظر إلى الشعر بوصفه ظاهرة لغوية متكاملة ومختبراً حيواً يكشف عن حدود النظام اللغوي العربي ومرونته، سيعمل البحث على تحليل منهج سيبويه في التعامل مع الشواهد الشعرية، مبيناً أنه لم يكن مجرد جامع للمخالفات، بل كان يستثمر هذه الشواهد لاستكشاف الأطراف القصوى للنظام اللغوي، وفهم العلل العميقة التي تحكمه، بذلك يطمح البحث إلى إثبات أن الشعر لم يكن مجرد "رخصة" تُغتفر، بل هو كاشف لطبيعة النظام النحوي نفسه، وشريك أساسي في المشروع الوصفي والتقني الذي اضطلع به سيبويه في كتابه.

سيستتبع هذا البحث مسارات هذا المفهوم من خلال الاستنباط لبعض النصوص من الكتاب، مع التركيز على الأبواب التي تناولت أقسام الكلام ومجاري أواخر الكلم والإعراب والبناء وباب ما يحتمل الشعر بشكل خاص، بالإضافة إلى استقراء الأمثلة والشواهد التي ساقها سيبويه نفسه، في محاولة للكشف عن الأسس التي بني عليها سيبويه تعامله مع النص الشعري، وكيف يمكن لهذا التعامل أن يفتح آفاقاً جديدة لفهمنا للشعر وللنحو العربي معاً.

● المحور الأول: أسس النظام اللغوي عند سيبويه: بناء الكلام المستقيم

قبل الخوض في مفهوم الشعر عند سيبويه، لابد من الوقوف على الأسس والمفاهيم المحورية التي بني عليها نظامه اللغوي لوصف الكلام العربي القياسي أو المستقيم، فهذه الأسس هي المرجعية التي يقاس عليها ما يحتمله الشعر، فنظام سيبويه يستند إلى رؤية كلية للغة - نظام محكم له قوانينه الداخلية -، تبنى على عدة مفاهيم أساسية:

1. الكلم الثلاث: نواة اللغة (هذا باب علم الكلم من العربية)

يقسم سيبويه الكلمة العربية تقسيماً ثلاثياً مانعاً جامعاً: «اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل»¹، هذا التقسيم ليس مجرد تصنيف شكلي، بل هو أساس فهم البنية التركيبية والمعنوية للجملة.

○ **الاسم:** يدل على ذات أو معنى مجرد (رجل، فرس، حائط، الضرب، الحمد، القتل)، وهو الأصل والأشدّ تمكناً في رأي سيبويه.

○ **الفعل:** يدل على حدث مقترن بزمن («أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع»²)، هذا التعريف يكشف عن الطبيعة الاشتقاقية للفعل وعلاقته بالأسماء (المصادر/الأحداث) وارتباطه الوثيق بالزمن (ماضٍ، مستقبل/لم يقع، حاضر مستمر/كائن لم ينقطع).

○ **الحرف:** لا يدل على معنى إلا في سياق (جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل³)، وظيفته ربط أجزاء الكلام وإحداث المعاني النحوية (ثم، سوف، واو القسم، لام الإضافة).
هذا التقسيم هو نقطة الانطلاق لأي تحليل لغوي، فالشعر رغم خصوصيته إلا أنه لا يخرج عن هذه الأقسام الأساسية.

2. مجاري أواخر الكلم: الإعراب والبناء (هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية)

يميز سيبويه بين نوعين من التغيرات التي تلحق أواخر الكلم:

■ **الإعراب (النصب، الجر، الرفع، الجزم):** وهي تغيرات ديناميكية تحدثها العوامل الداخلة على الكلمة «لما يحدث فيه العامل - وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه»⁴، الإعراب سمة الأسماء المتمكنة والأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين، فهذا الارتباط بين الإعراب والتمكن سيكون له أهمية عند تحليل الشعر.

■ **البناء (الفتح، الضم، الكسر، الوقف):** وهي حركات أو سكنون يلزم آخر الكلمة بناءً أصلياً لا يتغير بتغير العوامل «بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل»⁵، البناء سمة الحروف، والأسماء غير المتمكنة (المبنية)، والأفعال غير المضارعة (الماضي والأمر).

○ **المجاري الثمانية والأضرب الأربعة:** يذكر سيبويه⁶ ثمانية مجارٍ (رفع، نصب، جر، جزم، فتح، ضم، كسر، وقف) لكنه يجمعها في أربعة أضرب لفظية (النصب والفتح ضرب، الجر والكسر ضرب، الرفع والضم ضرب، الجزم والوقف ضرب)، وهذا التفريق الدقيق بين الحالة الإعرابية/البنائية وبين أثرها الصوتي اللفظي يدل على عمق تحليله، فالتفريق بين ما يدخله الإعراب (يزول) وما يئتي عليه (لا يزول) هو مفتاح فهم التمكن وعدم التمكن، وهو مفهوم محوري في فهم طبيعة الكلمة العربية عنده.

○ **التمكن وعدم التمكن:** يربط سيبويه الإعراب بالتمكن⁷، فالأسماء المتمكنة (المعربة المنصرفة غالباً) هي الأشد تمكناً وهي الأصل، أما الأفعال أقل تمكناً، والحروف والأسماء المبنية (غير المتمكنة) أقلها تمكناً لأنها تشبه الحروف.

3. علاقة الاسم بالفعل: الأولوية والأصالة

○ يقرر سيبويه أولوية الاسم على الفعل: «الأسماء هي الأولى وهي أشد تمكناً... ألا ترى أن الفعل لا بد له من الاسم ولا لم يكن كلاماً والاسم قد يستغني عن الفعل تقول: الله إلهنا وعبد الله أخونا»⁸.

○ هذه الأولوية تفسر خصائص كل قسم: الأسماء المتمكنة يدخلها التنوين (علامة الأمكن والأخف)، ولا يدخلها الجزم، فالأفعال أثقل إذ لا تنوين فيها، ويدخلها الجزم والسكون وهي مشتقة من لفظ أحداث الأسماء (المصادر).

○ الفعل المضارع له مكانة خاصة لأنه ضارع أسماء الفاعلين، مما أكسبه الإعراب، ولكنه يظل أدنى رتبة من الاسم المتمكن (لا يدخله الجر ولا التنوين).

4. المسند والمسند إليه: نواة الجملة (هذا باب المسند والمسند إليه)

○ يحدد سيبويه الركنين الأساسيين للجملة المفيدة «لا يغني واحد منها عن الآخر»⁹:

■ الاسم المبتدأ والمبني عليه (الخبر): عبد الله أخوك.

■ الفعل والاسم (الفاعل): يذهب عبد الله.

○ الابتداء هو أصل أحوال الاسم فيقول: «واعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء والجار على المبتدأ»¹⁰، هذا يؤكد مركزية الاسم وأصلته في النظام.

5. الكلام المستقيم والإحالة: معايير الصحة والقبح (هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة)

○ يميز سيبويه بين مستويات الكلام¹¹:

■ مستقيم حسن: سليم نحوياً ومعنى وزماناً (أتيتك أمس وسأتيك غداً).

■ مستقيم كذب: سليم نحوياً لكنه محال واقعاً (حملت الجبل).

■ مستقيم قبيح: سليم نحوياً لكن اللفظ وضع في غير موضعه المألوف (قد زيداً رأيت)، هذا النوع مهم لفهم الشعر.

■ محال: خطأ نحوياً (سأتيك أمس).

■ **محال كذب:** خطأ نحوياً ومحال واقعاً (سوف أشرب ماء البحر أمس).

هذا التقسيم يضع معاييرًا للحكم على الجملة، والشعر سيقع غالباً في منطقة المستقيم القبيح نحوياً (بالنسبة للنثر) ولكنه مقبول شعرياً.

6. اللفظ والمعنى والحذف والتعويض: ديناميكية اللغة (هذا باب اللفظ للمعاني، وهذا باب ما يكون في اللفظ من الأغراض)

يقر سيويه بوجود الترادف (اختلاف اللفظين والمعنى واحد: ذهب وانطلق)، والمشارك اللفظي (اتفاق اللفظين والمعنى مختلف: وجدت عليه ووجدت الضالة)، وتطابق اللفظ والمعنى (جلس وذهب)¹²، كما ذهب بظواهر الحذف (لم يك)، والتعويض (زنادقة/زناديق)، والاستغناء (استغناء بالشئ عن الشئ الذي أصله في كلامهم أن يستعمل)¹³، فهذه الإقرارات تدل على أن سيويه يرى اللغة على أنها ليست نظاماً جامداً بل نظاماً حيوياً فيه مرونة واقتصاد لغوي، وهو ما يمهّد لفهم طبيعة التغيرات التي تطرأ على اللغة في الشعر.

وعليه يقدم سيويه نظاماً لغوياً متكاملًا للغة العربية الفصحى، يركز على تقسيم الكلم والتمييز الدقيق بين الإعراب والبناء والتمكن وعدم التكن، وتحديد أركان الجملة الأساسية، ووضع معايير للصحة والقبح اللغويين، فهذا النظام يعطي الأولوية للاسم المتمكن ولالكلام المستقيم الحسن، فضمن هذا الإطار المرجعي سيتم محاولة استقراء واستخراج استنباطات حول ظاهرة الشعر، ليس باعتبارها مجرد خروج عن هذا النظام، بل جزءاً حيوياً يتفاعل معه ويكشف عن أبعاده وحدوده.

● المحور الثاني: الشعر في الكتاب: قراءة في باب ما يحتمل الشعر

يخصص سيويه باباً مستقلاً لما يحتمله الشعر، وهو الباب الذي يُستشهد به عادةً لإثبات أن الشعر عنده هو مجال الضرورة والرخصة، لكن القراءة المتأنية لهذا الباب وشواهد تكشف عن طبيعة هذه الاحتمالات وكيفية تعامل سيويه معها، مما يمهّد لتجاوز النظرة السطحية.

1. صيغة الاحتمال والجواز:

يفتح سيويه الباب بقوله: «اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام»¹⁴، وصيغة يجوز (أو يحتمل) تفيد الإباحة ضمن سياق الشعر لا الخطأ المطلق، هذا يعني أن الشعر له منطقته الخاص الذي يسمح بتجاوز قيود الكلام (النثر القياسي)، فهذا الجواز ليس فوضوياً، بل هو مقيد بكون الكلام الناتج مستقيماً ليس فيه نقض، أي أنه يظل قابلاً للفهم والتحليل النحوي وإن كان قبيحاً من منظور النثر.

2. أنماط الرخص الشعرية وتصنيفها:

من أبرز هذه الرخص ما يمس البنية الصرفية للكلمة، مثل **صرف ما لا ينصرف**، ففي الشعر قد يُعطى الاسم المنوع من الصرف، الذي يتميز بثقله وعدم تمكنه، شيئاً من خفة الاسم المنصرف المتمكن عبر تنوينه، ويستشهد على ذلك بقول خُفّاف بن نُذبة السُلَمي: «كنواح ريش حمامة نجدية ... ومسحت بالثتين عصف الإثم»¹⁵، حيث صُرّفت كلمة "الإثم" للضرورة ويُفسر سيويه هذه الظاهرة بالمشبية، قائلاً إنهم «يشبهونه بما قد حذف واستعمل محذوفاً»¹⁶، مما يعني أن هذه العملية ليست اعتباطية بل تستند إلى آليات لغوية أخرى كالحذف.

ويقع في الإطار نفسه **مد المقصور أو تغيير بناء الجمع**، حيث يتم تغيير البنية الصرفية لتلبية متطلبات الوزن، كما في قول الفرزدق: «تَنَفِّي يَدَاها الحَصَى في كُلِّ هاجرة ... نَفَى الدَّنَائِرِ تَنَقَّادُ الصَّيَارِفِ»¹⁷، حيث مدّ كلمة "الصرايف" إلى "الصباريف"، وهنا أيضاً يربط سيويه هذه الظاهرة بأنماط موجودة في اللغة، مما يؤكد أولوية الشكل الإيقاعي على الصرف القياسي في الشعر فيقول: «ربما مدوا مثل مساجد ومنابر فيقولون مساجيد ومنابر شبهوه بما جمع على غير واحده في الكلام»¹⁸.

وتتمدد الرخص لتشمل الجانب الصوتي وقواعد الوصل والوقف، ومن ذلك **إلحاق نون التوكيد أو تنوين المنادى في الوصل** لإعطاء الأولوية للشكل الصوتي المراد، ويشير سيويه إلى أن العرب قد يتقنلون الكلمة في الوقف، ثم يجرون هذا التثقيل في الوصل داخل الشعر للضرورة، فيقول: «ومن العرب من ينقل الكلمة إذا وقف عليها ولا ينقلها في الوصل فإذا كان في الشعر فهم يجرونه في الوصل على حاله في الوقف نحو: سبسبا وكلكلا»¹⁹. كما في قول رؤبة: «ضخم يحب الخلق الأضخم»²⁰، والشاخ «له زجل كأنه صوت حاد»²¹.

وتظهر الرخصة في الحذف للضرورة. كحذف ياء المتكلم الذي لا يكون قياسياً إلا في الوقف، يقول سيبويه: «كما أثبتوا الحذف في قوله لنفسه مقتعاً وإنما حذفه في الوقف»²²، لكن الشعر يجيزه في الوصل اعتدالاً على السياق، كما في قول مالك بن خريم: سأجعل عينيه لنفسه مقتعاً»²³، حيث يفهم المحذوف من السياق، مما يبرز اعتماد الشعر على الإيجاز.

ولعل أهم هذه الرخص وأكثرها دلالة هو ما يتعلق بالتركيب النحوي، حيث يجيز الشعر التقديم والتأخير ووضع اللفظ في غير موضعه إلى درجة قد يوصف معها التركيب بأنه "قبيح" بالمعايير النثرية، يعترف سيبويه بأن الشعراء «...يحملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه لأنه مستقيم ليس فيه تقيض»²⁴، ويضع لذلك شرطاً جوهرياً، وهو أن يظل الكلام مستقيماً ليس فيه تقيض، أي لا يؤدي إلى استحالة لغوية أو منطقية. يتجلى ذلك في قول الأعشى «صددت فأطولت الصدود ... وقلما وصال على طول الصدود يدوم»²⁵، (والأصل: وقل ما يدوم وصال...)، وتبرز هذه النقطة الفرق الجوهري بين معيار الحسن النحوي في النثر، ومعيار الجواز الشعري الذي تحكمه إمكانية الفهم. وضمن هذه المرونة التركيبية يأتي تغيير الوظيفة النحوية للكلمة، كاستعمال ما لا يكون إلا ظرفاً في الكلام العادي اسماً مجروراً، فيقول سيبويه «وجعلوا ما لا يجري في الكلام إلا ظرفاً بمنزلة غيره من الأسماء»²⁶، مثل قول مرار بن سلامة: «...ولا من سوائنا»²⁷، والأعشى «...لسوائكا»²⁸.

3. آلية التفسير: التشبيه والاضطرار والاستقامة:

يستخدم سيبويه التشبيه آلية لتفسير بعض الظواهر، مما يعني أنه يراها امتداداً لأنماط لغوية موجودة وليست خلقاً من عدم، فيذكر الاضطراب باعتباره دافعا، وهذا يؤكد النظرة التقليدية، لكنه ليس التفسير الوحيد، فالأهم هو شرط «الاستقامة وعدم التقيض»²⁹، مما يعني أن الرخصة الشعرية ليست مطلقة، بل محكمة بإمكانية الفهم والتحليل ضمن النظام اللغوي العام، حتى لو كان التركيب قبيحاً.

4. ما يكشفه هذا الباب عن رؤية سيبويه:

- الشعر نظام له قوانينه: جواز ما لا يجوز في الكلام يعني أن الشعر ليس مجرد كلام مكسور، بل له أعرافه وقواعده الداخلية (وإن لم يفصلها سيبويه).
- أولوية الشكل الصوتي/الإيقاعي: فكثير من الرخص (المد، التشكيل، الحذف، تغيير البناء) تخدم الوزن والقافية بشكل واضح.
- المرونة النحوية والصرفية: الشعر يستغل أقصى إمكانيات اللغة في التقديم والتأخير والحذف والقلب وتغيير الوظائف مما يكشف عن مرونة النظام اللغوي.
- الحد الفاصل (الاستقامة): الحد الذي لا يتجاوزه الشعر المقبول عند سيبويه هو الاستقامة (عدم الإحالة أو التناقض المنطقي/اللغوي)، فالقبح التركيبي مسموح به، لكن الإحالة اللغوية أو المعنوية التامة مرفوضة.
- وعليه باب ما يحتمل الشعر هو أكثر من مجرد قائمة بالضرورات، فهو يحدد مساحة خاصة للشعر داخل النظام اللغوي العام، مساحة تتميز بالجواز والمرونة محكمة بالاستقامة والمعنى وتكشف عن أولويات مختلفة عن أولويات النثر (مثل أولوية الإيقاع)، فتعليل سيبويه لهذه الظواهر بالتشبيه يربطها بالنظام اللغوي، وشرطه للاستقامة يمنعها من الخروج عنه تماماً.

5. الشواهد الشعرية ودلالاتها في بناء مفهوم الاحتمال:

الشواهد التي يسوقها سيبويه ليست مجرد أمثلة، بل هي الحجج التي تثبت صحة ما يذهب إليه من احتمال الشعر لهذه الظواهر، فهذه الشواهد مأخوذة من كبار الشعراء (العجاج، خفاف، النجاشي، الأعشى، الفرزدق، رؤبة، الشماخ، وغيرهم)، مما يعني أن هذه الاحتمالات ليست أخطاء فردية، بل هي ممارسات لغوية معترف بها في التراث الشعري الفصيح.

دلالة هذه الشواهد تكمن في:

- التوثيق: تثبت أن هذه التجاوزات جزء من كلام العرب الشعري.
- التبرير: تفسر لماذا تُقبل هذه الظواهر في الشعر (غالباً لضرورات الوزن والقافية).
- التحديد: ترسم حدود ما هو محتمل في الشعر، فهو ليس فوضى لغوية بل مرونة مقننة.

6. هل الاحتمال ضعف أم قوة؟

قد يُفهم مصطلح يحتمل الشعر أو الضرورة الشعرية على أنه نقطة ضعف في اللغة الشعرية، أو أنها لغة أقل فصاحة من النثر، لكن من منظور سيبويه الذي نستنبطه من الكتاب يوحى بعكس ذلك، فالاحتمال ليس مجرد تساهل مع العيوب، بل هو:

- دليل على طاقة اللغة: قدرة اللغة العربية على التكيف والابتداء لتلبية متطلبات فنية خاصة (النظم الشعري).
- اعتراف بخصوصية الشعر: إقرار بأن للشعر قوانينه الداخلية التي قد تختلف عن قوانين النثر دون أن يعني ذلك فساد اللغة.

- مظهر من مظاهر الثراء اللغوي: فالشعر بهذه المرونة يستطيع أن يحتفظ بأشكال لغوية قديمة أو نادرة، وأن يبتكر تركيبات جديدة، مما يجعله سجلاً حياً لتطور اللغة وتنوعها.

فالاحتمال عند سيبويه هو إذن قوة كامنة في اللغة الشعرية، تسمح لها بتحقيق غاياتها الفنية والتعبيرية، وتجعل منها حقلاً خصباً للدراسة اللغوية، فلا يجوز لنا أن نقول بأنه رخصة للخطأ، بل هو قانون خاص يميز الشعر عن الكلام العادي.

يختم سيبويه هذا الباب بقوله: «وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً. وما يجوز في الشعر أكثر من أن أذكره لك ههنا لأن هذا موضع جمل وسنين ذلك فيما نستقبل إن شاء الله»³⁰، هذه الخاتمة تؤكد أن ما ذكره هو مجرد أمثلة، وأن مجال ما يجوز في الشعر أوسع بكثير، وأن الشعراء لا يلجؤون لهذه الضرورات اعتباطاً بل يحاولون به وجهاً، أي أن لها مسوغاً وغرضاً فنياً.

• الأبعاد الإيقاعية والعروضية: سيبويه والعروض والقافية

على الرغم من أن الكتاب لسيبويه هو بالأساس عمل نحوي وصرفي شامل، وأنه لا يتعمق في تفصيلات علم العروض والقافية كما فعل أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي، إلا أنه لا يمكن إغفال الوعي الضمني بالأبعاد الإيقاعية والموسيقية للشعر في ثنايا تحليلات سيبويه، هذا الوعي يتجلى من خلال اهتمامه بما يحتمله الشعر من تغييرات لغوية تخدم في كثير من الأحيان ضرورات الوزن والقافية.

1. الاهتمام بالعروض والقافية:

لا نجد في الكتاب فصلاً مخصصة للعروض والقافية، ولكن اهتمام سيبويه يظهر بشكل غير مباشر من خلال تبريره للعديد من الظواهر اللغوية المحتملة في الشعر، عندما يذكر صرف ما لا ينصرف، أو مد المقصور، أو تثقيب الكلمة في الوقف والوصل، أو الحذف، فإن هذه التغييرات غالباً ما تكون استجابة لمتطلبات النظم الشعري، فمن خلال عرض ما سبق يمكن أن نكشف عن بعض الدلالات منها:

- الوزن: كثير من التغييرات الصرفية والصوتية التي يميزها سيبويه في الشعر، مثل مد المقصور (كقولهم مساجيد بدلاً من مساجد) أو تثقيب، الكلمة (كقول رؤبة الأضخا بتشديد الميم وإلحاق الألف)، تهدف بشكل واضح إلى استقامة الوزن الشعري هذه التغييرات تسمح للشاعر بضبط عدد الحركات والسكنات في التفعيلات.

- القافية: التغييرات التي تطرأ على أواخر الكلمات، سواء بالحذف أو بالتثقيب أو بتغيير الحركات، ولها تأثير مباشر على القافية، فساح سيبويه بإجراء الكلمة في الوصل على حالها في الوقف مثل «سببنا وكلكلا»³¹ يخدم هذا الغرض.

إن تبرير هذه التغييرات بكونها جائزة في الشعر دون أن تكون جائزة في الكلام العادي، يشير إلى فهم سيبويه بأن للشعر متطلبات شكلية (إيقاعية وقافية) خاصة، وأن اللغة تتكيف لتلبية هذه المتطلبات.

2. المفاهيم الأساسية المتناولة

المفاهيم التي يتناولها سيبويه في النص المرفق وتتعلق بالجانب الصوتي والإيقاعي للشعر تندرج ضمن ما يحتمل الشعر. يمكن استخلاص بعض المصطلحات والمفاهيم ذات الصلة:

- **الوقف:** يشير إليه عند حديثه عن تثقيف الكلمة: «ومن العرب من يثقل الكلمة إذا وقف عليها ولا يثقلها في الوصل فإذا كان في الشعر فهم يجرونه في الوصل على حاله في الوقف...»، الوقف له أهمية في تحديد شكل القافية ونهايات الأبيات.
- **الوصل:** المفهوم المقابل للوقف، ويتعلق باستمرار الكلام، فساحه بإجراء أحكام الوقف على الوصل في الشعر يخدم الإيقاع.
- **المد:** يتجسد فيه القول السابق في مساجيد ومناير بهدف ضبط الوزن.
- **التثقيف:** فقول سيبويه أن من العرب من يثقل الكلمة، فذا إما بتشديد الحرف الأخير أو إلحاق ألف بعده، وكلاهما يؤثر في الإيقاع والقافية.
- **الحذف:** الحذف ضروري أحياناً لتخفيف الكلمة لتناسب الوزن.
- **صرف ما لا ينصرف:** وهذا يؤثر على حركة الحرف الأخير (التنوين)، وبالتالي على الجرس الموسيقي والقافية.
- **الضرورة الشعرية:** هذا هو المفهوم العام الذي تندرج تحته كل هذه التغييرات، وهي غالباً ما تكون لخدمة الشكل الإيقاعي للشعر.

3. التأثير بالخليل بن أحمد الفراهيدي:

- لا يذكر سيبويه معلمه الخليل بن أحمد صراحةً في سياق العروض، ومع ذلك من المعلوم تاريخياً أن سيبويه كان ملازماً للخليل، وأن ابن أحمد الفراهيدي هو واضع علم العروض، ويستشهد سيبويه بالخليل في مواضع نحوية كثيرة جداً في الكتاب ككل، مما يدل على عمق التأثير.
- وفيما يتعلق بالعروض وإن لم يفصل فيه سيبويه، فمن المؤكد أنه كان على دراية تامة بمنجزات أستاذه، ويمكن الافتراض بأن عدم تفصيله في العروض والقافية في الكتاب يرجع إلى أمرين:
- **تركيز الكتاب على النحو والصرف:** كان هدف سيبويه الأساسي هو بناء نظرية نحوية شاملة.
 - **الاكتفاء بمنجز الخليل:** ربما رأى سيبويه أن الخليل قد استوفى البحث في العروض، فلم ير حاجة لتكراره أو الخوض فيه تفصيلاً.
- ومع ذلك، فإن معالجة سيبويه لما يحتمل الشعر تنانغاً تماماً مع ما تتطلبه الأوزان والقوافي التي وضعها الخليل، فالرخص التي يجيزها سيبويه هي في كثير من الأحيان الأدوات التي يستخدمها الشعراء لضبط قصائدهم على أوزان الخليل.
- الجدول 1: مصطلحات ذات صلة بالشكل الإيقاعي والقافي في مناقشات سيبويه:**

المصطلح	دلالاته في سياق الشعر
الضرورة الشعرية	المفهوم العام الذي يسمح بتجاوزات لغوية لا تجوز في الكلام العادي
صرف ما لا ينصرف	جواز تنوين الأساء الممنوعة من الصرف في الشعر
الحذف	إسقاط بعض الحروف أو أجزاء من الكلمات أو الجمل للإيجاز أو الوزن
المد	إطالة بعض الأصوات أو إضافة حروف مد لم تكن موجودة في أصل الكلمة (مثل مساجيد)
التثقيف/التضعيف	تشديد الحرف الأخير أو إلحاق ألف به، غالباً لضبط القافية أو إحداث أثر صوتي
الوقف	حالة إنهاء الكلمة أو البيت، وما يطرأ على الحرف الأخير من تغييرات
الوصل	استمرار الكلام دون وقوف، وما يترتب عليه من أحكام صوتية
قبح الكلام	قبول تراكيب أو تقديم وتأخير قد يُعد قبيحاً في النثر، طالما كان مستقيماً نحوياً

• الشعر في سياقه: مكانته بين المصادر اللغوية الأخرى عند سيبويه

- يقدم سيبويه في الكتاب صورة واضحة للمكانة المتميزة التي يحتلها الشعر ضمن مصادر اللغة العربية التي اعتمدها، هذه المكانة لا تتحدد فقط من خلال كثرة الاستشهاد به، بل أيضاً من خلال طبيعة هذا الاستشهاد والغرض منه، وكذلك من خلال المقارنات الضمنية أو الصريحة التي يعقدها سيبويه بين لغة الشعر وغيرها من مستويات كلام العرب.
1. الشعر مقابل الكلام (النثر الفصيح/كلام العرب المعتاد):

هذه هي المقارنة الأكثر حضوراً ومركزية في كتاب سيبويه، خاصة في باب ما يحتمل الشعر، يضع سيبويه الكلام (ويعني به غالباً النثر الفصيح أو الكلام الجاري على الألسنة الذي يلتزم بالقواعد القياسية) معياراً أساسياً، ثم ينظر إلى الشعر باعتباره المجال الذي يحتمل ما لا يحتمله هذا الكلام.

- النص: «اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام»³².
- النص: «وإنما الكلام: قول ما يدوم وصال»³³، (في معرض تصحيح ترتيب جملة شعرية لتوافق ترتيب الكلام العادي).

○ النص: «وجعلوا ما لا يجري في الكلام إلا ظرفاً بمنزلة غيره من الأساء»³⁴.

هذه المقارنة المستمرة تؤكد أن سيبويه يرى الشعر نظاماً لغوياً له قواعد الخاصة أو على الأقل مرونته الخاصة التي تميزه عن النظام الأكثر صرامة للكلام، والكلام هو الأصل والقاعدة، والشعر هو المجال الذي تظهر فيه طاقة اللغة على التكيف والتجاوز المنضبط.

2. الشعر باعتباره سماعاً معتمداً من العرب:

عندما يستشهد سيبويه بالشعر فإنه يقدمه جزءاً من سماع العرب الموثوق به، هذا السماع هو المصدر الأساسي الذي يبني عليه النحوي قواعده:

- النص: «سمعناه ممن يرويه عن العرب»³⁵.
- النص: «كذلك سمعناه من العرب»³⁶.
- النص: «وأشدنا لبعض العرب الموثوق بهم»³⁷.
- النص: «وسمعنا بعض العرب يقول...»³⁸.
- النص: «حدثنا بذلك يونس عن أبي عمرو وهو رأي»³⁹.

تظهر هذه الإشارات إلى السماع والرواية والعرب الموثوق بهم وتضع الشعر في مصاف المصادر اللغوية الأصيلة التي يعتمدها سيبويه، إنه ليس مجرد كلام فردي، بل هو جزء من التراث اللغوي الجماعي للأمة.

3. الشعر كمصدر للنوادر والقياسات غير المطردة:

يُظهر الكتاب أن الشعر يحتفظ بظواهر لغوية قد لا تكون شائعة أو مطردة في الكلام العادي، هذا يجعله مصدراً مهماً لدراسة اتساع اللغة وتنوعها، وليس فقط قواعدها القياسية، هذه الأمثلة تبين أن الشعر مجال لظهور أشكال صرفية أو صوتية قد تكون نادرة أو مبنية على قياسات غير مطردة في النثر، مما يعزز من قيمته كمصدر لغوي متنوع.

4. محدودية الإشارة إلى مصادر أخرى في النص المرفق:

الكتاب يركز بشكل كبير على كلام العرب (الشعر والنثر) مصدراً أساسياً، ولا نجد فيه إشارات واضحة ومفصلة إلى القرآن الكريم أو الحديث النبوي باعتبارها مصادرًا لغويةً للمقارنة مع الشعر في هذا السياق المحدد (باب ما يحتمل الشعر والأبواب النحوية الأخرى)، هذا لا يعني أن سيبويه لا يعتمد عليهما في الكتاب ككل، بل يعني أن تركيزه في هذه الأجزاء منصب على استنباط القواعد من كلام العرب الفصحاء، والشعر يمثل جزءاً محورياً من هذا الكلام.

- القرآن الكريم: وإن كان سيبويه يستشهد بالقرآن في الكتاب عموماً فإنه فيه، وعند حديثه عن ما يحتمل الشعر لا يقارن صراحة بين لغة الشعر ولغة القرآن، ومع ذلك فإن المفهوم الضمني هو أن القرآن يمثل أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، وهو معصوم من القبح الذي قد يحتمله الشعر.
- الحديث النبوي: لا يرد ذكر للحديث النبوي في هذا المقتطف باعتباره مصدراً لغوياً.

إن غياب المقارنة المفصلة مع هذين المصدرين في الكتاب لا يقلل من مكانة الشعر عند سيبويه، بل يوضح أن الشعر له وظيفته الخاصة في الاستدلال اللغوي، وهي توثيق كلام العرب في أوسع صوره، بما في ذلك ما هو محتمل وفيه تجاوز عن القواعد الصارمة لـ الكلام المستقيم الحسن.

وعليه الشعر في سياق الكتاب هو:

- نظام لغوي مميز عن الكلام النثري في مرونته وقدرته على احتمال ما لا يجوز في النثر.
- جزء أصيل من سماع العرب الموثوق به، ومصدر رئيس للاستدلال النحوي.

- **حافضة للظواهر اللغوية المتنوعة،** بما في ذلك النواذر والأصول.
- **مجال تختبر فيه حدود اللغة** وقدرتها على التكيف مع المتطلبات الفنية (الوزن والقافية).

هذه المكانة تجعل من الشعر ليس مجرد شاهد ثانوي، بل هو شريك أساسي في بناء النظرية النحوية عند سيبويه، يكشف عن ديناميكية اللغة العربية وثروتها.

- **المفهوم الديناميكي للشعر عند سيبويه: الشعر فضاء لغوي مرن**

يمكننا أن نرى في منهج سيبويه تصوراً أكثر عمقاً وديناميكياً للشعر باعتباره فضاءً لغوياً حياً، له قوانينه الداخلية التي تسمح بقدر كبير من الحرية والتجريب ضمن إطار اللغة العربية الفصحى وهذا من خلال:

 - **تجاوز فكرة الضرورة إلى فكرة القانون الخاص أو الرخصة اللغوية:**

مصطلح الضرورة الشعرية قد يوحي بأن الشاعر يلجأ إلى هذه التجاوزات مكرهاً، وأنها عيوب تغتفر، لكن سيبويه عندما يتحدث عما يحتمل الشعر أو يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام، فإنه لا يقدم ذلك في سياق الاعتذار عن ضعف، بل في سياق وصف خصائص هذا النظام اللغوي.

هذا يقودنا إلى أن ما يسميه المتأخرون ضرورة وهو عند سيبويه أشبه بقانون خاص يحكم لغة الشعر، أو رخصة لغوية ممنوحة لهذا الجنس من الكلام، تسمح له بالتصرف في المادة اللغوية بطرق لا تتاح للنثر، هذا القانون الخاص ليس تعسفياً، بل هو ما استقر عليه استعمال الشعراء الفصحاء، وما وثقه الرواة وما استنبطه النحاة.

 - **الشعر مختبر لغوي لاختبار طاقات العربية:**

إذا كان الكلام المستقيم الحسن يمثل القواعد القياسية للغة، فإن الشعر بما يحتمله من تجاوزات، يمثل أقصى ما يمكن أن تصل إليه اللغة من مرونة وتكيف دون أن تنهار بنيتها الأساسية، بهذا المعنى يصبح الشعر في الكتاب بمثابة مختبر لغوي تختبر فيه طاقات اللغة العربية وقدراتها على نحو:

 - **اختبار حدود القاعدة النحوية:**

 - عندما يذكر سيبويه صرف ما لا ينصرف أو تقديم ما حقه التأخير (قبح الكلام ووضعه في غير موضعه)، فإنه يرينا كيف يمكن للشعر أن يتجاوز الترتيب المألوف أو القاعدة الصرفية الصارمة دون أن يؤدي ذلك إلى فساد المعنى الأساسي أو انهيار التركيب، هذا يوسع من فهمنا لحدود القاعدة النحوية نفسها.
 - **استكشاف الإمكانيات الصوتية والصرفية:**

 - مد المقصور في (مساجيد ومنابر) وتنقيب الكلمة في (سبستا وكلكلا) والحذف في (ولاك اسقي) كلها أمثلة على تصرفات صوتية وصرفية تظهر كيف يمكن للشاعر أن يتلاعب ببنية الكلمة وشكلها لخدمة أغراض إيقاعية أو قافية، وهذا يكشف عن مرونة النظام الصوتي والصرفي للعربية.
 - **الحفاظ على الأشكال اللغوية النادرة أو القديمة:**

 - الشعر بهذه المرونة يصبح قادراً على استيعاب أشكال لغوية قد تكون محجورة في النثر اليومي، هذا يجعله سبجاً حياً لتاريخ اللغة، والإشارة إلى ما قد حذف واستعمل مخدوفاً تندرج ضمن هذا الإطار.
 - **توليد المعاني بطرق غير قياسية:**

 - «جعل ما لا يجري في الكلام إلا ظرفاً بمنزلة غيره من الأسماء»⁴⁰ هو مثال على كيف يمكن للشعر أن يكسر القوالب الوظيفية للكلمات، مما قد يؤدي إلى توليد دلالات جديدة أو إحداث تأثيرات بلاغية خاصة.

إن هذا الدور الاختباري للشعر يجعله مصدراً لا غنى عنه للنحوي، فمن خلال دراسة ما يحتمله الشعر، يستطيع النحوي أن يفهم ليس فقط ما هو قياسي في اللغة، بل أيضاً ما هو ممكن وما هو محتمل، وبالتالي يرسم صورة أكثر شمولاً ودقة لطبيعة اللغة العربية.

 - هذه الرؤية للشعر - كونه فضاءً لغوياً ديناميكياً له قوانينه الخاصة ويعمل مثل مختبر لطاقات اللغة - تحاول أن تقدمه بمنظور صياغة المفهوم: **الشعر عند سيبويه - المكونات والغاية**

بناءً على ما سبق، يمكننا الآن محاولة صياغة مفهوم ضمني للشعر عند الإمام النحوي، نسعى فيه لتوصيف طبيعة الشعر وخصائصه اللغوية كما فهمها سيبويه من خلال استقراءه لكلام العرب، ودوره في منظومته النحوية.

الشعر في منظور سيبويه من الكتاب هو نظام لغوي خاص يتميز عن الكلام العادي (النثر الفصيح أو كلام العرب المعتاد) بقدرته على احتمال أو جواز مجموعة من التجاوزات والتصرفات اللغوية التي لا تجوز أو تُستقبح في النثر، هذه الاحتمالات أو الضرورات الشعرية ليست عيوباً بالضرورة، بل هي خصائص جوهرية تحدد طبيعة هذا النظام وتمنحه مرونته، وغالباً ما تكون هذه المرونة لخدمة متطلبات النظم من وزن وقافية، أو لتحقيق أغراض بلاغية وتعبيرية خاصة. هذا النظام الشعري، على الرغم من مرونته، يظل مستقيماً في جوهره (أي لا يؤدي إلى فساد المعنى الأساسي أو انهيار البنية اللغوية)، وهو جزء لا يتجزأ من كلام العرب الموثوق به.

أولاً: مكونات الشعر (من المنظور اللغوي السيبوي):

من خلال باب ما يحتمل الشعر والأمثلة المتناثرة، يمكن تحديد المكونات أو الخصائص اللغوية التي تشكل ملامح النظام الشعري عند سيبويه:

1. المادة اللغوية الأساسية:

○ يتكون الشعر من نفس الكلم الذي يتكون منه الكلام العادي، أي: الاسم، والفعل، والحرف الذي جاء للمعنى.

○ يخضع لقواعد الإعراب الأساسية (الرفع، النصب، الجر، الجزم) والبناء (الفتح، الضم، الكسر، الوقف) التي تحكم أواخر الكلم.

2. الهيكل النحوي والصرفي والصوتي المرن (خصائص الاحتمال):

وهذا هو الجانب الذي يميز الشعر بشكل أساسي، يتكون هذا الهيكل من القدرة على:

○ التصرف في الإعراب والبناء: صرف ما لا ينصرف

○ التصرف في بنية الكلمة والجملة بالحذف والزيادة: الحذف، المد (الزيادة)

○ التصرف في أصوات الكلمات: التثقيب.

○ التصرف في ترتيب عناصر الجملة (التقديم والتأخير).

○ التصرف في وظائف الكلمات.

هذه الاحتمالات هي السات الجوهرية التي تحدد طبيعة الشعر باعتباره نظاماً لغوياً خاصاً في نظر سيبويه.

3. الأبعاد الإيقاعية والقافية (موجهات لهذه الاحتمالات):

على الرغم من أن النص المرفق لا يفصل في العروض والقافية، إلا أن العديد من الاحتمالات المذكورة (مثل المد، والتثقيب، والحذف، وصرف ما لا ينصرف) تخدم بشكل مباشر أو غير مباشر متطلبات الوزن والقافية، وهذا يشير إلى أن سيبويه كان يعي أن هذه الخصائص اللغوية ليست عشوائية، بل هي موجهة لتحقيق البناء الصوتي والإيقاعي المميز للشعر، فحديثه السابق عن الاضطرار يؤكد أن هذه التجاوزات لها غاية، وغالباً ما تكون هذه الغاية هي استقامة الوزن أو حسن القافية.

ثانياً: الغاية من الشعر (في سياق الكتاب ومنظور سيبويه النحوي):

من خلال طريقة تعامل سيبويه مع الشعر، يمكن استنباط الغايات التالية التي يحققها الشعر ضمن منظومته اللغوية:

1. مصدر أساسي للاستشهاد اللغوي (الشاهد النحوي):

○ يستخدم سيبويه الشعر بشكل مكثف لإثبات صحة القواعد النحوية والصرفية، أو لبيان جواز بعض الوجوه اللغوية. فالشواهد الشعرية هي جزء من سماع العرب الموثوق به.

2. مختبر لمرونة اللغة وإمكاناتها القصوى:

○ الشعر، بما يحتمله من تجاوزات، يُظهر أقصى ما يمكن أن تصل إليه اللغة العربية من مرونة وتكيف مع المتطلبات الفنية والتعبيرية دون أن تنهار بنيتها الأساسية.

3. حافظة للنوادر اللغوية والأصول المتروكة والاستعمالات القليلة:

○ يحتفظ الشعر بأشكال لغوية قد تكون قديمة أو نادرة الاستخدام في النثر العادي، مما يجعله سجلاً تاريخياً للغة.

4. وسيلة لتحقيق الشكل الفني للشعر (الوزن والقافية):

○ العديد من الاحتمالات اللغوية (الضرورات) التي يجيزها سيبويه في الشعر تكون مبررة بحاجة الشاعر إلى ضبط الوزن أو إتقان القافية.

5. تمييز النظام الشعري عن نظام الكلام العادي:

○ من خلال تحديد ما يجوز في الشعر ولا يجوز في الكلام، يرسم سيبويه حدوداً فاصلة (وإن كانت مرنة) بين النظامين اللغويين، مما يساعد على فهم خصائص كل منهما.

خلاصة المفهوم:

إذن الشعر عند سيبويه - كما يُستنبط من الكتاب - ليس مجرد كلام موزون مقفى بالمعنى العام، بل هو بنية لغوية متكاملة، لها موادها (الكلم العربي)، وهيكلها (النحوي والصرفي والصرفي الذي يسمح باحتالات وتجاوزات محددة)، وغاياتها (التي تخدم الاستدلال النحوي، واختبار طاقة اللغة، وحفظ نوادرها، وتحقيق الشكل الفني)، يمكننا أن نقول أنه نظام يُعرّف في المقام الأول من خلال علاقته بالكلام العادي، وبقدرته على احتمال ما لا يحتمله ذلك الكلام، مما يجعله ظاهرة لغوية فريدة تستحق الدراسة والتحليل الدقيق من قبل النحوي، هذا الاحتمال ليس فوضى، بل هو دليل على طاقة اللغة الإبداعية وقدرتها على التكيف، وهو ما سعى سيبويه إلى توثيقه وتحليله في كتابه. يتجاوز النظرة الاختزالية له - مجرد مستودع للشواهد - فهي ترى في الشعر شريكاً فاعلاً في الكشف عن أسرار اللغة العربية وقدراتها الهائلة.

- خاتمة:

يختتم هذا البحث مساره باستعراض أبرز النتائج المتوصل إليها في دراسة مفهوم الشعر عند سيبويه في "الكتاب"، والتي تؤكد أن الشعر ليس مجرد مجال للضرورات والاستثناءات النحوية، بل نظام لغوي متكامل ذو خصائص ديناميكية، فقد كشف تحليل باب "ما يحتمل الشعر" والشواهد النحوية أن سيبويه تعامل مع الشعر بوصفه:

1. فضاء حيويًا يكشف مرونة النظام اللغوي العربي وحدوده التعبيرية القصوى.
2. مختبراً لغوياً تُختبر فيه إمكانيات اللغة (صرفياً، صوتياً، تركيبياً) تحت ضغط الوزن والقافية، مع الحفاظ على "الاستقامة" وغياب "النقيض".
3. نظاماً خاصاً بقوانينه (الرخص الشعرية) المبررة بالتشبيه بظواهر لغوية أو بالاضطرار الإيقاعي، وليس انحرافاً عن القاعدة.
4. مصدراً تأسيسياً للنظرية النحوية، حيث يقدم الشعر شواهد على طاقة اللغة الكامنة وتنوعها، وليس مجرد مستودع للشذوذ.

أبرز النتائج:

- الشعر نظام لغوي مواز وليس مجرد استثناء: أظهر التحليل أن سيبويه لم يتعامل مع الشعر بوصفه خروجاً عشوائياً عن القاعدة، بل كنظام لغوي له منطقته الداخلي الخاص، فهو يميز بين ما هو "قيح" لكنه "مستقيم" (جائز شعراً)، وما هو "محال" (مرفوض لغوياً)، هذا يثبت أن الشعر لديه يخضع لمعيار "الاستقامة" وليس فقط معيار "الحسن" القياسي في النثر.
- التمييز المنهجي بين الضرورة والشذوذ: على عكس ما قد يبدو، فإن منهج سيبويه، وإن لم يصرح بذلك نظرياً، يطبق تمييزاً عملياً بين "الضرورة الشعرية"، وهي رخص منهجية مرتبطة بالوزن والقافية، وبين "الشاذ" أو "النادر" الذي يحفظه الشعر شاهداً على اتساع اللغة وتنوع لهجاتها، فالشعر بذلك ليس مستودعاً للشذوذ، بل هو في معظمه مجال لممارسة الرخص الشعرية المقبولة.
- الإيقاع كعلة مفسّرة ومبرّرة: شف البحث أن متطلبات الوزن والقافية (الأبعاد الإيقاعية) كانت تمثل علة جوهرية ومبرراً أساسياً للكثير من الظواهر التي "يحتملها الشعر"، مثل مد المقصور، أو صرف الممنوع من الصرف، وهذا يؤكد أن سيبويه كان يرى أن البنية الإيقاعية للشعر تفرض قوانين صرفية وصوتية خاصة به.

- الشعر كمختبر لكشف طاقات اللغة: أثبتت الدراسة أن سيبويه استخدم الشاهد الشعري كمختبر لغوي لاختبار أقصى إمكانيات التراكيب العربية، فالتقديم والتأخير، والحذف، وتغيير الوظائف النحوية في الشعر ليست مجرد "ضرورات"، بل هي كشف عن مرونة النظام النحوي وقدرته على إعادة ترتيب مكوناته لتحقيق أغراض دلالية وبلاغية، طالما لم يقع في "الإحالة".

اقتراحات للبحوث المستقبلية:

1. دراسة مقارنة: مقارنة مفهوم الضرورة/الرخصة الشعرية عند سيبويه مع تطوره لدى النحاة المتأخرين (كالمبرد وابن جني) لرصد تحولات المفهوم.
2. تحليل إحصائي دقيق: حصر وتصنيف جميع الشواهد الشعرية في "الكتاب" (بما يفوق باب ما يحتمل الشعر) لاستخلاص أنماط التجاوز الأكثر شيوعاً وعلاقتها بالأوزان العروضية.
3. قراءة تداولية: استكشاف أبعاد "القبح" التركيبي المقبول شعرياً عند سيبويه في ضوء نظريات التلقي والسياق التواصلية.
4. توظيف اللسانيات الحديثة: تحليل الظواهر الصوتية والصرفية التي أشار إليها سيبويه (كالمدة والتثقيب) باستخدام أدوات علم الأصوات (Phonology) الحديث.
5. السياق الثقافي: البحث في تأثير البيئة العلمية البصرية (الخليل) وتأثر سيبويه بمنهج تحليل النص الشعري السابقة عليه.

- قائمة الإحالات:

- 1 سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب. تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988، ج 1، ص 12.
- 2 سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 12
- 3 سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 12.
- 4 سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 13.
- 5 سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 13.
- 6 ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 13.
- 7 ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 14.
- 8 سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 20-21.
- 9 سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 23.
- 10 سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 23-24.
- 11 ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 25-26.
- 12 ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 24.
- 13 ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 25.
- 14 سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 26.
- 15 خفاف بن ندية السلمى، قصيدة: كنوح ريش خامة جديّة ومسحت بالشتين عصف الأثمد. تم الاسترجاع في 25 يونيو 2025 من موقع الديوان: www.aldiwan.net/poem24253.html
- 16 سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 26.
- 17 سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 28.
- 18 سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 28.
- 19 سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 29.
- 20 سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 29.
- 21 سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 30.

- 22سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 29.
23سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 28.
24سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 31.
25سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 31.
26سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 31.
27سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 31.
28سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 32.
29سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 25.
30سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 32.
31سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 32.
32سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 26.
33سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 31.
34سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 31.
35سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 282.
36سيبويه، الكتاب، ج 2، ص 67.
37سيبويه، الكتاب، ج 2، ص 09.
38سيبويه، الكتاب، ج 3، ص 63.
39سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 405.
40سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 31.

- المراجع:

- خفاف بن ندبة السلمي، قصيدة: كنواح ريش خامة تجديئة ومسحت باللثين عصف الأئمد، موقع الديوان: www.aldiwan.net/poem24253.html.
- سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب. تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988، ج(1-3).